

## الإفتنان والإفادة في رسائل ابن خلدون وابن الخطيب

فاطمة على نژاد چمازكتى\*

تاريخ الوصول: ٩٦/٢/١٥

سعيده ميرحق جو لنگرودى\*\*

تاريخ القبول: ٩٦/٧/١٠

### الملخص

عبد الرحمن ابن خلدون عالم اسلامى ومؤرخ اجتماعى، مفكر عالمى ذاعت شهرته واستفاض صيته لنظرية جليلة استحدثها وأطلق عليها "علم العمران البشرى" ولقد اهتم الدارسون فى أنحاء العالم بدراسة نظريته وآثاره المؤلفة نظرا إلى مكانة الاندلس فى العالم الاسلامى وإلى أهمية دراسة التطورات الاجتماعية والسياسية والحضارية فيها. الدكتور طه حسين يرى بأن التطورات الاجتماعية والسياسية أثرت من آثار التطور الفكرى والأدبى فدراسة الأدب خاصة أدب العالمين الكبيرين يعطينا صورة حية عن واقع المجتمع وتطوراتاه. على هذا قامت هذه الورقة بدراسة وتحليل رسائل أرسلها كل من ابن خلدون والوزير الأديب ابن الخطيب بعضهم لبعض رغبة للتعريف والتعرف على حياتهما المتقلبة وآرائهما. إنهما قد عالجا الأحداث التاريخية فى ثوب أدبى له تعبير أدبية مؤثرة. أضف إلى ذلك أن هذه الرسائل تدلّ على افتنان ادبى من قبلهما كما تفيد إفادات سياسية، وتاريخية، وعلمية، وأدبية.

الكلمات الدليلية: ابن خلدون، ابن الخطيب، رسائل، الافادة.

alinezhad@isc.gov.ir

mirhaghjoo@isc.gov.ir

\* عضو هيئة التدريس فى المركز الاقليمى للمعلوماتى للعلوم والتكنولوجيا(مرى).

\*\* عضو هيئة التدريس فى المركز الاقليمى للمعلوماتى للعلوم والتكنولوجيا(مرى).

الكاتبة المسؤولة: فاطمة على نژاد چمازكتى

## المقدمة

الافتنان هو الإتيان بفنين مختلفين من فنون الكلام فى بيت واحد فأكثر، مثل النسب والحماسة، والمدح والهجو، والتهنئة و التعزية، ولا يختص بالنظم، بل يكون فى النثر أيضاً كقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ ويقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن / ٢٦- ٢٧). فإنه جمع بين الفخر والتعزية، فعزى سبحانه جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة، وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات فى عشر لفظات، مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء، بالجلال والإكرام (ابن معصوم المدني، ١٩٦٨، ج ١: ٣٢٠). جاء ابن خلدون فى رسائله كثير من هذا الفن وأما الرسالة من أهم الصناعات الإنشائية وهو المرتبطة بالحضارة الاسلامية وتظهر فى تجليات مختلفة وأبرزها الرسائل الخوانية. وهى المسجات التى يبعثها الناس لإخوانهم وأصدقائهم وتقوم بالتعبير عن عواطف الوداد وأحلى الكلمات التى يتبادلها الأصدقاء بينهم وابن خلدون اهتم اهتماماً واسعاً بهذا الفن وعلى هذا تناول هذا المقال الكشف عن أهم القيم الدلالية التى تزخر بها الرسائل الإخوانية/ ابن خلدون إلى صديقه ابن الخطيب.

*ابوزيد عبدالرحمن بن ابو عبدالله محمد بن محمد بن ابوبكر محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن خلدون الملقب بولوى الدين عالم، سياسى، مفكر، مؤرخ وقاض، ولد فى تونس اول رمضان المبارك سنة ٧٣٢ق أى ٢٧ مايو ١٣٣٢م وتوفى فى ٢٦ رمضان ٨٠٨ق الموافق ١٧ مارس ١٤٠٦م فى القاهرة (موسوى بجنوردى، ١٣٧٠، ج ٣: ٤٤٤). أنه قد تلقى على أبيه وعلى بعض علماء تونس والواردين إليها القرآن حفظاً وتفسيراً ثم الحديث والفقه واللغة والنحو وكثيراً من الشعر. قد مات أبوه وأمه حين كان ابن السابع عشر اثر شيعو المرض فى البلاد فأصبح عبدالرحمن فى عنفوان الشباب وحيداً منفرداً لا يشد حبال الحنين إلى الوطن باعث نفسى قوى فنراه يتقلب فى البلاد والأقطار دائماً منها: قفصة، بسكرة، فاس، مصر، سورية، وتلمسان (فروخ، ١٩٩٧م: ٥٨٧، ٦).*

إن حياة/ ابن خلدون تنقسم إلى أربعة أطوار وهى:

١. طور النشأة والبلوغ الذى ينتهى إلى العشرين من عمره وقد أقضاه فى الدراسة

والتعلم.

٢. طور النشأة الإجتماعى - السياسى وهو طور جمع بين دراسة العلم والأدب. استمر هذا الطور لمدة عشرين سنة، جرب خلاله الصدارة والرياسة إلى الحبس.
- ابن خلدون* كان كثير التقلب فى الأحوال كما كان كثير التنقل فى البلاد فكان له منصب الكتابة إذ كان مسؤولاً عن كتابة التعميدية بالقلم الغليظ بين البسملة وما بعدها من مخاطبات أو مراسيم (ابن خلدون، ١٩٥١: ٥٥) ومنصب الوزارة للحفصيين والمرينيين (موسى بجنوردى، ١٣٧٠، ج ٣: ٤٤٥) ومنصب الحجاب فى فاس (عبد الجليل، ١٣٧٦: ٢٦٢) ومنصب القضاء بمصر (كحالة، ١٩٩٣، ج ٣: ١١٩). كما سجن سنتين فى فاس واعتزل عن المجتمع واستقرّ فى قلعة ابن سلامة (ابن خلدون، ١٣٥٩: ٤٠).
٣. طور الإبتعاد والعزلة الذى أقضاه فى التأليف والكتابة واستمرّ أربع سنوات من ١٣٧٤م إلى ١٣٧٨م.
٤. طور الإعادة فى المؤلفات والامتهان بالقضاء واستمرّ لمدة ١٨ سنة من ١٣٧٨م إلى ١٤٠٦م (المصدر نفسه: ٧٠-٦٩).

### خلفية البحث

إن الدراسات السابقة، فلم تجد دراسة مستقلة تتناول هذا الموضوع، واما هناك بعض الدراسات حول *ابن خلدون* و*ابن الخطيب* نحو دراسة السيد صالح سليمان عبدالعظيم بعنوان «ابن خلدون فى الخطابات العربية المعاصرة دراسة تصنيفية وتحليلية» فى مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، ودراسة «ثقافة القرن الثامن الهجرى بين منهجى ابن خلدون وابن الخطيب» لمحمد بن على الكتانى فى مجلة دعوة الحق، ودراسة السيد روح الله صيادى بعنوان «دراسة المهارات اللغوية لدى ابن خلدون» فى مجلة الأبحاث المتعلقة باللغة، وأيضا دراسة السيدة فتيحة حداد بعنوان «ابن خلدون وأراؤه اللغوية والتعليمية (دراسة تحليلية نقدية)» فى مخبر الممارسات اللغوية فى الجزائر.

### حياة ابن خلدون العصرية

أطلّ القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر للميلاد) أى عصر *ابن خلدون*، والبلاد العربية فى انهيار سياسى وثقافى من جرّاء ما توالى عليها من محن، وما تعاقب عليها من ويلات.

فقد استولى الإسبان على معظم بلاد الأندلس، وغادرها عدد كبير من العرب ملتجئين إلى تونس ومراكش. كانت الأندلس العربية لذلك العهد مختصرة في مملكة غرناطة تحكمها سلالة بنى نصر، وقد دام حكمها من سنة ١٢٣١م إلى سنة ١٤٩١م (٦٢٩-٨٩٧ق). وأما المغرب فقد كان على ما رأينا من التفكك والإضطراب، وكان حافلاً بالثورات والفتن، تتعاقب فيه الدول تعاقباً سريعاً. وأما مصر فكانت تحت حكم المماليك، وكانت الحال فيها غير ما من المغرب والأندلس، أى أنها كانت أشد استقراراً وكانت بعيدة عن هذا التنافر الذى وجدناه فيها بين الأسر المختلفة وبين السلاطين والوزراء والخارجين على السلطة (الفاخورى، ١٩٩٦: ٣٢٣-٣٢٠).

*ابن خلدون* العالم الناقد الأديب وضع أساس علم الاجتماع ودون فلسفة التاريخ حيث تفرّد بهما وبما استنبطه من مبادئ العدل الاجتماعى والاقتصادى والسياسى وما مقدمته إلا خزانة علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية (فرزاد، ١٣٧٩: ٩٦). ذاعت شهرته واستفاض صيته لارتباط اسمه بنظرية جليلة استحدثها وأطلق عليها "علم العمران البشرى" أو الاجتماع الانسانى (الشعكة، ١٩٨٧: ٢٢٩).

### ابن خلدون كاتباً

إمتاز *ابن خلدون* بسعة إطلاعه على ما كتبه القدامى على أحوال البشر وقدرته على إستعراض الآراء ونقدها، دقة الملاحظة مع حرية فى التفكير وإنصاف أصحاب الآراء المخالفة لرأيه. وقد كان لخبرته فى الحياة السياسية والإدارية وفى القضاء، إلى جانب أسفاره الكثيرة فى شمالي إفريقيا إلى مصر والحجاز والشام، أثر بالغ فى موضوعية وعلمية كتاباته عن التاريخ وملاحظاته. ولهذا قد تجمعت عند *ابن خلدون* ثروة طائلة من العلوم ولمعرفة بنواحيها المختلفة وذلك بسبب خبراته الواسعة فى ميادين السياسية، لخدمته فى معية الملوك والأمراء، لكثرة أسفاره وتنقلاته بين الدول المغربية والأندلس ولقراءته ودراسته فى كل فرصة تسمح له (شمس الدين، ١٩٩١: ١٠٧). وقد قيل حول *ابن خلدون* أنه ليس فيلسوفاً اجتماعياً فحسب، بل هو عالم إجتماعى وواضع علم الاجتماع على أسسه الحديثة ولم يسبقه إلى ذلك أحد حتى الآن تقريباً (فروخ، ١٩٧٢: ٣٢). وأما قامت شهرة *ابن خلدون* على تدوين أشهر آثاره "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام

العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر " الذى قدم له بحث عام فى شؤون الإجتماع الإنسانى وقوانينه، وهو البحث الذى إشتهر فيما بعد باسم «مقدمة ابن خلدون» وهو عبارة عن مقدمة فى فضل علم التاريخ ثم ستة أبواب فى شؤون العمران. «أجمع فلاسفة الغرب من أن «مقدمة ابن خلدون» هى أعظم عمل أدبى يمكن أن يخلقه أى عقل بشرى فى أى زمان» (موقع ماجودى). كما يبدو من مؤلفاته «إن أسلوب ابن خلدون أسلوب الرصانة والدقة والواقعية واسلوب الإناقة والسهولة والوضوح» (الفاخورى، ١٣٨٠: ٣٥٣). مع أن ما ألفه لا يطلق عليه نثر نثر فنى لكنه نثر عالم ومفكر لا يضحى الدقة لصالح الجمال الظاهرى (عبدالجليل، ١٣٧٦: ٢٦٣). إنّه من أقدر من عالج العبارة العربية بمتانة ودقة وسهولة و وضوح فترى اللغة تستفاد له انقياداً عجيباً مهما تدفقت معانيه ومهما ابتعدت، اغوارها ومهما تصورها وترى عبارته تمتد وتطول فى ترابط وثيق وفى تسلسل رائع (الفاخورى، ١٣٨٠: ٣٥٣). أنه قد ألف إلى جانب كتاب العبر، رسالة فى المنطق، رسالة فى الحساب، شرح على قصيدة بردة، شرح على قصيدة ابن عبدون الإشبيلي، لباب المحصل فى أصول الدين، رحلة ابن خلدون، طبيعة العمران، شفاء السائل لتهديب المسائل، شرح رجز فى اصول الدين للسان الدين ابن الخطيب (كحالة، ١٩٩٣، ج ٢، ١٢٠؛ الفاخورى، ١٣٨٠، ج ٦: ٥٩١)، وله رسائل أرسلها إلى لسان الدين ابن الخطيب التى وقع موقع النقاش والدراسة فى هذا المقال. إنّ الرسائل التى تبادلت بين لسان الدين بن الخطيب وعبداً الرحمن ابن خلدون تدلّ على افتنان أدبى من قبلهما كما تدلّ على الرغبة الثنائية إلى دراسة الأخبار السياسية والعلمية والأدبية (موسوى بجنوردى، ١٣٧٠، ج ٣: ٤٤٦ نقلاً عن التعريف ١٣٠-١٠٤). وعلى هذا الأساس اتجه هذه الورقة نحو دراسة الرسائل المذكورة دراسة أدبية، وتاريخية، وسياسية.

### حياة لسان الدين ابن الخطيب فى نظرة عابرة

ولد ابن الخطيب فى أسرة عربية سلمانية نزحت إلى الأندلس. ولد فى لوشة وقيل فى غرناطة وشبّ ميّالاً إلى الدرس، يأخذ عن العلماء والأدباء، حتى برع بالأدب وعلوم اللغة والفقه والفلسفة والطب، فكان من أشهر رجالات الأندلس لذلك العهد. استوزره أبو الحجاج يوسف سلطان غرناطة، ثمّ ابنه السلطان محمد بعده. وراح حسّاده يدبّرون له الدسائس،

فنسبوا إليه الزندقة لسلكه مذهب الفلاسفة، فاعتقل في فاس، فأرسل إليه أعداؤه رجالاً خنقوه في السجن سنة ١٣٧٤م/٧٧٦ق(الفاخوري، ١٣٨٠: ٨٤٤).

كان *ابن الخطيب* أعظم شخصية ظهرت بالأندلس في القرن الثامن الهجري، سواء في ميدان التفكير أو السياسة أو الشعر أو الأدب وإنه يمكن أن يوضع في صف أعظم شخصيات التاريخ الأندلسي قاطبة والواقع أنه لما يشير الدهشة والإعجاب معاً، أن تجتمع في شخصية *ابن الخطيب* عبقریات متعددة، يبلغ في كل منها الذروة، فهو طبيب و فيلسوف، وهو كاتب وشاعر من الطراز الأول، وهو مؤرخ بارع، وهو أخيراً وزير وسياسي ناقب النظر قوى الإدراك(عنان، ١٩٦٨: ٢٨). قال *المقرى* في كتابه «نفتح الطيب»(المقرى، ١٩٦٧: ١٧-١٦) هو الوزير الشهير الكبير، لسان الدين الطائر الصيت في المشرق والمغرب، عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير، المثل المضروب في الكتابة والشعر والطبّ والمعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك.

لقب *ابن الخطيب* بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له أيضاً ذو الميتمتين، وذو القبرين، وذو العمرين، لأنه كان يشغل بالتأليف والكتابة ليلاً، ويقوم على التدبير الأمور المملكة نهاراً، ذلك أنه كان مصاباً بداء الأرق، لا ينام من الليل إلاّ النزر اليسير(بسبح، ١٩٩٤: ٣١).

### تأليفاته

بلغت تصانيفه نحو ستين، وهو قد فاق أقرانه، من حيث العدد ومن حيث المحتويات. ويقول *المقرى* في ذلك:

تصانيف الوزير ابن الخطيب  
فأية راحةٍ ونعيم عيشٍ  
ألدُّ من الصبا الغض الرطيب  
توازي كتبه أم أي طيبٍ

(المصدر نفسه: ٣٨)

ترك *لسان الدين* مصنّفات مشهورة في التاريخ منها: «الإحاطة في تاريخ غرناطة»، «الحلل المرقوقة»، «الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام»، «اللمحة البدرية في الدولة النهريّة»، و«نفاضة الجراب». وألّف أيضاً في التصفّو والموسيقى والفقه والطبّ. وله رسائل كثيرة، جمع قسماً منها في كتابه «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب». وله

أيضاً ديوان شعر، ليس من الطبقة العالية، وفيه موشحه المشهورة (الفاخورى، ١٩٨٣: ٨٤٥-٨٤٤).

### رسائل ابن الخطيب

تتراوح رسائله بين رسائل ديوانية، ورسائل إخوانية من تهنئة وعزاء، وكذلك له رسائل فى الوعظ والإرشاد، وله وصايا ومن أشهرها وصيته لأولاده. / ابن خلدون يقول لنا فى ترجمته لابن الخطيب: «إنه بلغ فى الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما، وملاً الدولة بمدايحه، وانتشرت فى الآفاق قدماه» (عنان، ١٩٦٨: ١١٠). أما أسلوبه فهو أصدق مثال على ما صار إليه النثر الأندلسى فى عصره الأخيرة، وهو قريب من أسلوب القاضى الفاضل. وأهم ميزاته الشغف بالمجاز والبديع حتى الإسراف والإستكثار من الإشارات التاريخية والعلمية، الإسهاب والإطناب، وإعتماد السجع غالباً (الفاخورى، ١٩٨٣: ٨٤٥).

### الرسالة الاولى

من: ابن الخطيب

إلى: ابن خلدون

المؤرخ: ٢/جمادى الأولى/٧٦٩

**دراسة وتحليل فى الرسالة:** لهذه الرسالة التى تأخر وصولها إلى ابن خلدون حتى

بعث به الأخ يحيى عند وفاته على السلطان جوانب مختلفة منها:

- **الجانب التاريخى:** إن الكاتب بعد أن تناول مقدّمة وديّة للرسالة أخذ يشير إلى أخبار الوطن حيث يقول «وفيما يرجع إلى الوطن» (ابن خلدون، ١٩٥١: ١١٧) ثم يشير إلى أسماء مدن منها برغة، وبذة، الغارين، بيغة، ويصرح بفتحها والدخول فيها «والإستيلاء على ما يناهز خمسة آلاف من السبى» (المصدر نفسه: ١١٨).

ثم فتح دار الملك ولدة قرطبة (تربها) ومدينة جيان ومدينة آبدة. «لم يتزيد من الحوادث إلا ما علمتم؛ ... الإضطراب مستول على الوطن بعد عمر بن عبد الله ... والأندلس شيخ غزاتها الأمير عبد الرحمن بن على بن السلطان ابي على بعد وفاة الشيخ ابي الحسن على بن بدر الدين» (المصدر نفسه: ١١٩)، ثم يخبر عن عودة السلطان ملك النصارى إلى

ملك إشبيلية ومخالفة قرطبة لها. إن السلطان قد تلقّب بعقب هذه المكيفات بـ "الغنى بالله".

وأما ما يرجع إلى ما يتشوّف إليه ذلك الكمال من شغل الوقت فصدرت تصانيف يقال فيها يا ابراهيم ولا ابراهيم، اليوم (لعله يشير إلى يا ابراهيم اعرض عن هذا).

- **الجانب الحكيم:** حيث جاء الكاتب بكلمات تتخلل الرسالة وتزيدها موعظة وحكمة، منها ما صرح به في النهي عن الإستغراق في طلب الدنيا «العاقل لا يستنكحه الإستغراق فيما آخره الموت» (ابن خلدون، ١٩٥١: ١١٦). ويقول: «إنّ الشوق مخامر القلوب وتصور اللقاء مما يزهّد في الوطن وحاضر النعم» (المصدر نفسه: ١١٧).

- **الجانب الأدبي:** إن الكاتب أنشأ رسالة أدبية في أسلوب يمتاز بكثرة التعابير المرادفة والمفردات المسجعة والكلمات الرنيئة. كما يقول «... سنىّ الله ذلك على أفضل حال ويسرّه قبل الارتحال عن دار المحال» (المصدر نفسه: ١١٧). فالكاتب يشير إلى مؤلفاته قبل أن ينتهى كلامه منها الغيرة على أهل الحيرة، حمل الجمهور على السنن المشهور، أجزاء لتاريخ غرناطة وتلخيص كتاب «التاج» للجوهري.

- **جانب العاطفة الصادقة:** حيث بدأ الرسالة بـ «أخى ودأ واعتقالاً» (المصدر نفسه: ١١٥) وجعل منزلة ولده «ومحلّ ولدى شفقة سكنت منى فؤاداً» (المصدر نفسه: ١١٥)، ثم عبر عن شدة الشوق إليه و«إن كنت في مباتتك كالعاطش الذى لا يروى والأكل الذى لا يشبع» (المصدر نفسه: ١١٥) وهى دليل على أن المرسل اليه لصيق بقلبي المرسل لا يفارق مخيلته.

## الرسالة الثانية

من: ابن الخطيب

إلى: ابن خلدون

المؤرخ: ١٤/ربيع الثانى/٧٧٠

**دراسة وتحليل فى الرسالة:** إن هذه أطول رسالة كتبها/ابن الخطيب من غرناطة إلى

صديقه الحميم عبد الرحمن بن خلدون ومن أهم جوانب الرسالة:



- **الجانب الأدبي:** إن هذه الرسالة فى قمة أدبية لما جاء به من المحسنات البديعية والكلمات المسجعة والتلميح والإقتباس والأبيات الشعرية وأسلوب يقرب من أسلوب المقامات الأدبية. مقدمة الرسالة مطلع شعرى رائع يصور رغبة الكاتب القلبية وشكواه من البين والفراق، كما يشير إلى محاولة العاذلين ويبرى نفسه من التأثر بهم:

بنفسى وما نفسى علىّ بهينة	فينزلنى عنها المكاسُ بأثمان
حبيب نأى عنى وصمّ لآنتى	وراش سهام البين عمدا فأصمانى
وقد كان همُّ الشيب-لا كان- كافياً	فقد أدنى لِمَا ترخّل همّان
وإنى على ما نالنى منه من قلىّ	لأشتاقُ من لقياه نغبة ظمّان
وتالله ما أصغيتُ فيه لعاذل	تحاميتُه حتى ارعوى وتحامانى

(ابن خلدون، ١٩٥١: ١٠٥)

وهذه فقرة تملأ جمالاً أدبياً ودلالة: «أما الشوق فحدّث عن البحر ولا حرج، وأما الصبر فاسأل به أية درج، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج، لكن الشدة تعشق الفرج، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج؛ وأنى بالصبر على إبر الدبر»(المصدر نفسه: ١٠٥).

قد اشتمل الرسالة على أمثال استخدمت خير استخدام فى الرسالة منها: «والرجوع بملء العيبة من الخيبة ووقر الجسرة من الحسرة»(المصدر نفسه: ١١٠) و«بعث التمر إلى الهجر»(المصدر نفسه: ١١٤) و «حال الجريض دون القريض»(المصدر نفسه: ١١٠).

الشكوى من الفراق والبين وهذا معنى ظهر فى ثوب التعابير الأدبية الرائعة نظماً كان أو نثراً. إنه يقول: إذا كان الفراق هو الحمام الأول فعلام المعول أعييت مراوضة الفراق عمل الرّاق وكادت لوعة الإشتياق أن تفضى إلى السياق:

تركتمونى بعد تشييعكم	أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سنّى ندماً تارة	وأستمح الدمع أحياناً

(المصدر نفسه: ١٠٥)

المزج بين الأدب والتاريخ أو كتابة يجوز لنا نطق عليه التاريخ الأدبى الذى يختلف تماماً عن تاريخ الأدب. فهذا هو يذكر ما يغنينا عن زيادة وتفضيل: «وربّما تعللت بغشيان المعاهد الخالية وجدّدت رسوم الأسى بمباكرة الرسوم البالية أمثال نون النوى عن أهلية

وميم الموقد المهجور عن مصطليه وثناء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين» (المصدر نفسه: ١٠٥). انّ ابن الخطيب ينهى رسالته بالسؤال عن أحوال الصديق بعبارات أدبية متتالية منها: «كيف حال تلك الشمائل المزهرة الخمائل والشيم الهامية الديم هل يمرّ ببالها من راعت بالبعد باله وأخمدت بعاصف البين ذباله أو ترثى لشؤون شأنها سكب لا يفتر وشوق بيتّ حبال الصبر ويبتتر» (المصدر نفسه: ١١١).

### الرسالة الثالثة

من: ابن خلدون

إلى: ابن الخطيب

المؤرخ: عام سبعين وسبعمائة

الموضوع: إجابة عن رسالتين تلقاهما من ابن الخطيب

**دراسة وتحليل في الرسالة:** كان ابن خلدون بتونس وتلقى الرسالتين السابقتين من الوزير الأديب لسان الدين ابن الخطيب ثم أجاب عنها بهذه الرسالة التي لها طابع تاريخي وطابع أدبي.

- **الجانب الأدبي:** رغم ان ابن خلدون قبل أن يأتي بنص الرسالة في التعريف صرح بأننى تفاديت من السجع خشية القصور عن مساجلته فلم يكن شأوه يلحق لكنه جرب حذقه ومقدرته في مقدمة الرسالة حيث يبدو طابع الأدب والكتابة الأدبية واضحة جلية. إنه يقول: «سیدیّ مجدداً وعلوياً وواحدى ذخرأً مرجوياً ومحلّ والدى برأً وحنوياً مازال الشوق يرعى سمعى انباءك ويخيل إلىّ أيدى الرياح تناول رسائلک، حتى ورد کتابک العزیز على استطلاع وعهد غير مضاع وودّ ذى أجناس وأنواع... وحيّيته تحية الهائم لمواقع الغمائم والمديح للصباح المتبلج وأملّ على مقترح الأولياء...» (ابن خلدون، ١٩٥١: ١٢٣). فاما التقنين فيمكن أن نلخصه في تعبير ابن خلدون عن مشاعر الصداقة التي تربطه بصديقه الوزير في بداية هذه الرسالة.

- **تعظيم الدولة ورجالها:** ان ابن خلدون قام بتعظيم الدولة ووزيرها في قسم من الرسالة، حيث يثنى على حسن التدبير والأتیان بخوارق العادة لوزير الدولة:

«... حين ظهرت على يدها خوارق العادة وما تجدد آخر الأيام من معجزات الملة ولكم فيها والحمد لله بحسن التدبير ويمن النقيبة من حميد الأثر وخالد الذكر طراز في حلة الخلافة النصرية وتاج في مفرق الوزارة. كتبها الله لكم فيما يرضاه من عباده...» (المصدر نفسه: ١٢٤).

ثم يثنى على الدولة ويطيل ثناءه: «ووقفت عليه الاشراف من أهل هذا القطر المحروس وادعته في الملاء سروراً بعزّ الاسلام وإظهاراً لنعمة الله واستطراداً لذكر الدولة المولوية بما تستحقّه من طيبّ الثناء والتماس الدعاء والحديث بنعمتها والإشادة بفضلها على الدول السالفة والخالفة و تقدّمها...» (المصدر نفسه: ١٢٤).

وفي القسم الأخير من الرسالة يخاطب/ابن الخطيب ويطلب منه كي يقبل أقدام الحاكم عوضاً منه فهذا هو حيث يقول: «ورغبتى من سيدى - ابقاه الله - أن يقبل عنى اقدام تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندى من التشيع لسلطانه والشكر لنعمته...» (المصدر نفسه: ١٢٧).

- **جانب الرسالة الإخوانية:** إنّ هذه الرسالة تتلوّن كما كان من المتوقع بلون الرسائل الإخوانية حيث نجد لها طولها وأدبها والتعبير عن المشاعر والأحاسيس القلبية وأخيراً الأخبار عن أحوال الذات حيث يقول:

«وان تشوّفت السيادة الكريمة إلى الحال فعلى ما علمتم سيراً مع الأمل ومغالبة للأيام على الحظ واقطاعاً للغفلة جانب العمر.

هل نافعى والجدّ في صببٍ  
مرى مع الآمال في صعدي  
على إنّ لطف الله مصاحب وجوار هذه الرياسة المزنية - وحسبك بها علمية - عصمة  
وافية صرفت وجه القصد إلى ذخيرتى التى كنت اعتدّها منهم كما علمتم...» (المصدر نفسه: ١٢٤-١٢٥).

- **الجانب التاريخي:** بدأ/ابن خلدون بأخباره عن الأوضاع الراهنة في تونس والمغرب بتصريحه «وأما أخبار هذا القطر» ثم ذكر أخبار تونس أولاً ثم المشرق: «أما أخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان ابى الحق بن السلطان ابى يحيى بتونس مستبداً بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبى محمد تافراكين» (المصدر نفسه: ١٢٦).

ثمّ يقدّم صورة من سياسة الحاكم الجديد ومعاملته مع الناس حيث يشير إلى الإستبداد فى الرأى والمضايقه فى الجباية وإشاعة الأمن فى الطرق والرعايا فهو يقول: «من استقرار السلطان بتونس مستبدّاً بأمره... مضايقاً فى جباية الوطن... مصانعاً لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابله...» (المصدر نفسه: ١٢٦).

ثمّ يخبر صديقه الوزير عن أخبار الحاج فى السنة الأخيرة ويشكو من واجهه الحجاج واجه نفسه من اختلال وفساد السقايات وكثرة الهرج وقتل الكثيرين... فهذا هو حيث يقول: «أما أخبار المغرب الأقصى والأدنى فلديكم طلعه، وأما المشرق فأخبار الحاج هذه السنة من إخلاله وإنتقاض سلطانه وإنتزاع الجفافة على كرسيه وفساد المصانع والسقايات المعدّة لوفد الله وحاجّ بيته ما يسخن العين ويطيّل البثّ حتى لزعموا أنّ الهيعة اتصلت بالقاهرة وكثر الهرج فى طرقاتها وأسواقها...» (ابن خلدون، ١٩٥١: ١٢٦-١٢٧).

#### الرسالة الرابعة

من: ابن الخطيب

إلى: ابن خلدون

المؤرخ: ربيع الأول عام أحد وسبعين وسبعمئة

الموضوع: الكلام والاستطلاع

دراسة وتحليل فى الرسالة: كتب ابن الخطيب هذه الرسالة وأرسلها من غرناطة إلى

ابن خلدون الذى كان فى سفر الحج. للرسالة جوانب منها:

- جانب الرسالة الإخوانية: حيث عبّر عن الشوق والرغبة الكثيرين إلى صديقه

الحميم الذى فرق بينهما فراق مانع. ثم يخبره ويستخبره عن الحال وأمل التوفيق والنجاح، يقول: «يا سيدى وولّى وأخى ومحلّ ولدى! كان الله لكم حيث كنتم ولا أعدمكم لطفه وعنايته وأحمد الله على الاستقرار فى كهف ذلك الفاضل الذى وسعكم كنفه وشملكم فضله...» (المصدر نفسه: ١٢٨).

ثم يخبر عن حاله وشدة الضعف والمرض والعجز حيث يقول: «فاعلموا أنّى قد بلغ بى

الماء الزبى واستولى علىّ سوء المزاج المنحرف وتوالت الأمراض وأعوز العلاج لبقاء السبب

والعجز عن دفعه وهى هذه المداخلة جعل الله العاقبة فيها إلى خير ولم أترك وجهاً فى وجوه الحيلة إلا بذلته...»(المصدر نفسه: ١٢٨).

وكما يبدو من هذه الرسالة والرسالة السابقة أن ابن الخطيب كان يرغب فى أن يخبر صديقه عن تأليفه وما صدر له من آثار أدبية. فصرح فى هذه الأخيرة «وأخر ما صدر عنى كتاش سميته باستنزال اللطف الموجود فى اسر الوجود أمليته فى هذه الأيام... بودى لو وقفتم عليه...»(ابن خلدون، ١٩٥١: ١٢٨). ثم أنهى رسالته بما يدل دلالة واضحة على كونها رسالة إخوانية: «والأحوال كلها على ما تركتموها عليه واحبابكم بخير على ما علمتم من الشوق والتشوف والإرتماض لمفارقتكم ولا حول ولا قوة إلا بالله»(المصدر نفسه: ١٢٨).

### الرسالة الخامسة

من: ابن خلدون

إلى: ابن الخطيب

المؤرخ: ١/شوال/٧٧٢

الموضوع: جواب لرسالة ابن الخطيب

**دراسة وتحليل فى الرسالة:** هذه أطول رسالة أرسلها ابن خلدون إلى صديقه الوزير ابن الخطيب جواباً عن رسالة تلقاها منه بعد ما اشتد سوء الظن وتكدّر الجوؤ الودى لما أحدثه الحساد و النمامون. لهذه الرسالة طابع أدبى وطابع تاريخى.

- **جانب الرسالة الإخوانية:** إن النشاط والرغبة و الوداد تبدو واضحاً من هذه الرسالة خلافاً لما تعودناه فى الرسائل الباقية حيث يطيل الكلام، ويكثر التعابير الودية، ويؤكد على إخلاصه فى الود والصدقة، ويحاول أن يزيل الغبار المكدر عن مرآة الحب الصافية فيقول: «يا سيدى ونعم الدُخر لأبدى والعروة الوثقى التى اعتقلتها يدى أسلم عليكم سلام القدوم على المخدوم والخضوع للملك المتبوع لا بل أحبيكم تحية المشوق للمعشوق والمدلج للصباح المتبلج... وأنتم أعلم بما فى نفسى وأكبر شهادة فى خفايا ضميرى ولو كنت ذاك فقد سلف من حقوقكم وجميل أخذكم و اجتلاب الحظ بمساعيتكم... فحاش لله أن يقدر فى الخلوص لكم أو يرجح سوابقكم والله وجميع ما يقسم به ما اطلع على مستكنه منى

غير صديقي وصديقكم الملابس لى ولكم...»(المصدر نفسه: ١٤٠-١٤١). ثم يشكر لما تعرض له من التهمة والظن السيء حيث كاد أن يقع فى المهلكة. يقول: «إنّه قد علم ما كان منى من إجماع الأمر على الرحلة إليكم والخوف إلى حاضرة البلاد إلى عدوتكم تعرضت فيها للتهم ووقفت بمجال الظنون حتى تورطت فى الهلكة بما ارتفع عنى مما لم آتة ولا طويت العقد عليه لو لاحلم مولانا الخليفة وحسن رأيه فىّ وثبات بصيرته لكنك من الهالكين الأولين...»(ابن خلدون، ١٩٥١: ١٤٢).

- الجانب الحواري: كما هو المتوقع من الصديقين الصاحبين للرسائل المذكورة ان

هناك طابع حوارى فى رسالة/بن خلدون:

(الف) حيث أشار إلى ما يواجهه صديقه من المكاره والمصائب ويرجو خلاصة من ورطتها ويأمل له حسن المآل فى الأمل والأولاد والآثار ومن بعده يرى إعراضه عن الدنيا والاجتناب من متعتها وحطامها عناية من الله له، حيث ما شاء الله ان يهلك للانهماك فى متع الدنيا. يقول: «أفدت فى كتابكم العزيز علىّ، غريب ما كيّفه القدر من تنويع الحال لديكم وعجبت من تأتى املككم الشارد فيه فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه وأجمل المخارج الحميدة العواقب فى الدنيا والدين العائد بحسن المآل فى المختلف من أهل و ولد ومتاع واثر... وأشهد لما الهتمتم للاعراض من الدنيا ونزع اليد من حطامها عند الاصحاب والاقبال ونهى الآمال إلا جذباً وعناية من الله وحباً وإذا اراد الله امرأ يسرّ اسبابه»(المصدر نفسه: ١٤٣-١٤٤).

(ب) لما تناول موضوع إدبار الحظ وهزم الآمال يعتبر هذه الحالة سبباً للفرار إلى الله واستقبال المشاكل وتهذيب النفس ثم يتفاعل بأنّ الحال الجديدة ستؤدى إلى ثبات الأقدام وصفاء البصيرة وتخطة المقامات وإنارة برق العرفان، حيث يقول: «فالظن انّ هذا الباعث الذى هزم الآمال ونبذ الحظوظ وهونّ المفارق العزيز يسومكم الفرار إلى الله حتى يأخذ بيدكم إلى فضاء المجاهدة ويستوى بكم على جودىّ الرياضة والله يهدى للتى إلى اقوم وكأنى بالأقدام نقلت والبصائر بإلهام الحق صقلت والمقامات خلفت بعد أن استقبلت والعرفان شيمت أنواره وبوارقه والوصول انكشف حقائقه لما ارتفعت عوائقه»(المصدر نفسه: ١٤٤-١٤٥).

### نتيجة البحث

مما يليق أن يذكر كنتيجة هذه الورقة المقدمة التى تناولت الإفتنان والإفادة فى رسائل المفكرين الكبارين *ابن خلدون وابن الخطيب*: إن الطابع الغالب على الرسائل هو طابع الأدبى خاصة فيما صدر من *لسان الدين ابن الخطيب*.

إن هذه الرسائل تقع بسهولة ووضوح تحت الرسائل الإخوانية ومن ثم الرسائل الأدبية. إن ابن الخطيب يتفوق على *ابن خلدون* فى أسلوبه البيانى، ولا شك أن أسلوب *ابن خلدون* التاريخى يعتبر من أرفع الأساليب التاريخية من حيث قوة التعبير وإبراز المعانى. إن هناك ظاهرة قلما نجدها عند الآخرين ويمكننا أن نسميه بظاهرة كتابة التاريخ الأدبى الذى يختلف عن التاريخ وعن تاريخ الأدب. فهذه الظاهرة قرّب كتابة التاريخ من التصوير الواضح المؤثر.

نظراً إلى مكانة الطرفين علماً وأدباً كان من المتوقع أن يكون هناك جانب حوارى. فمن الجوانب المعنية بها فى الدراسة هو الجانب الحوارى خاصة فى رسالة *ابن خلدون*. رغم وجود جوانب وملامح تاريخية لكنه لم يكن هذا الجانب بحيث يعطينا صورة متوقعة عن الأحداث التاريخية والسياسية.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

- ابن خلدون، عبدالرحمن. ١٩٥١م، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً و شرقاً، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ابن خلدون، عبدالرحمن. ١٣٥٩ش، مقدمة ابن خلدون، ترجمة محمد پروين گنابادي، المجلد الأول، الطبعة الرابعة، تهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
- ابن معصوم المدني، على صدر الدين. ١٩٦٨م، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق وترجمة: شاعر هادي شكر، الجزء الاول، الطبعة الاولى، النجف: مطبعة النعمان.
- حداد، فتيحة. ٢٠١١م، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية (دراسة تحليلية نقدية)، تيزى وزو: مخبر الممارسات اللغوية.
- حسن بسبح، احمد. ١٩٩٤م، لسان الدين ابن الخطيب عصره، بيئته، حياته وآثاره، الطبعة الاولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشعكة، مصطفى. ١٩٨٧م، المغرب والأندلس آفاق اسلامية وحضارة انسانية ومباحث أدبية، الطبعة الاولى، بيروت: دار الكتب الاسلامية.
- شمس الدين، عبد الأمير. ١٩٩١م، موسوعة الفكر التربوي العربي الإسلامي: ابن خلدون وابن الأزرقي، الطبعة الاولى، لبنان: الشركة العالمية للكتاب.
- عبدالجليل، ج م. ١٣٧٦ش، تاريخ ادبيات عرب، مترجم: آذرتاش آذرنوش، چاپ سوم، تهران: انتشارات اميركبير.
- عبدالله عنان، محمد. ١٩٦٨م، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكرى، الطبعة الاولى، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الفاخوري، حنا. ١٣٨٠ش، تاريخ الأدب العربي، چاپ دوم، تهران: انتشارات طوس.
- الفاخوري، حنا. ١٩٩٦م، تاريخ الأدب في المغرب العربي، الطبعة الاولى، بيروت: دار الجيل.
- فرزاد، عبدالحسين. ١٣٧٩ش، المنهج في تاريخ الأدب العربي، چاپ سوم، تهران: انتشارات سخن.
- فروخ، عمر. ١٩٩٧م، تاريخ الأدب العربي، الجزء السادس، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين.
- فروخ، عمر. ١٩٧٢م، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، بيروت: دار العلم للملايين.
- كحالة، عمر رضا. ١٩٩٣م، معجم المؤلفين، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- المقرى، احمد بن محمد. ١٩٦٧م. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بيروت: دار صادر.
- موسوى بجنوردى، كاظم. ١٣٧٠ش، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، جلد سوم، چاپ دوم، تهران: مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى.



## المقالات

- عبدالعظيم، صالح سليمان. ٢٠٠٦م، «ابن خلدون فى الخطابات العربية المعاصرة دراسة تصنيفية وتحليلية»، مجلة العلوم الاجتماعية: جامعة الكويت، السنة ٣٤، العدد ٣.
- الكتانى، لمحمد بن على. ١٩٨٦م، «ثقافة القرن الثامن الهجرى بين منهجى ابن خلدون وابن الخطيب»، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٥٩.
- صيادى نژاد، روح الله. ١٣٩٢ش، «نقد و بررسى توائش زبانى از دیدگاه ابن خلدون»، جستارهای زبانی، دوره ٤، شماره ٢.

## Bibliography

### Holy Quran

- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman, 1951, Al-Ta'rif bi Ibn-Khaldūn wa Riḥlatuhu Gharbān wa Sharqān, Cairo: Association of Authorship, Translation and Publication Press.
- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman, 1980, The Muqaddimah, Translated by Mohammad Parvin Gonabadi, first volume, Fourth edition, Tehran: Translation and publishing company.
- Ibn Masum al-Madani, Ali Sadr al-Din, 1968, Lights of the spring in the beautiful, Translated by Shaker Hadi Shaker, part One, First edition, Najaf: Al -Nu'man Press.
- Haddad, Fatimah, 2011, Ibn-Khaldun and his pedagogical and linguistic thoughts "Analytical study", Tizi Ouzou: Lab of linguistic practices.
- Hasan Basbah, Ahmad, 1994, Lisan al-Din Ibn al-Khatib: his age, his environment, his life and his effects, First edition, Beirut: Scientific Library.
- Al-Shaka, Mostafa, 1987, Morocco and Andalusia Islamic horizons, human civilization and literature, First edition, Beirut: Islamic library.
- Shams al-Din, Abd Al-Amir, 1991, Encyclopedia of Arab Islamic Educational Thought: Ibn Khaldun and Ibn Al-Azraq, First edition, Lebanon: International book company.
- Abd Al-Jalil, 1997, Arabic Literature History, Translated by Azartash Azarnoosh, Third edition, Tehran: Amirkabir publisher.
- Abdullah Annan, Mohammad, Lisan al-Din Ibn al-Khatib: his life and his intellectual heritage, First edition, Cairo: Al - Khanji Library.
- Al-Fakhoury, Hanna, 2001, History of the Arabic Literature, second edition, Tehran, Tous Publisher.
- Al-Fakhoury, Hanna, 1996, History of literature in the Maghreb, First edition, Beirut: Dar Al-jeel.
- Farzad, Abd Al-Hosseini, 2000, in History of the Arabic Literature, Third edition, Tehran: Sokhan publisher.
- Faruk, Omar, 1997, History of the Arabic Literature, part six, Third edition, Beirut: Dar Al-Malayin.
- Faruk, Omar, 1997, History of Arab Thought to the Days of Ibn Khaldun, Beirut: Dar Al-Malayin.
- Kahala, Omar Reza, 1993, Dictionary of Authors, Part two, First edition, Beirut: Al-Risalah institute.

Al-Maqri, Ahmad Ibn Mohammad, 1967, Bringing his good branch of Al-Andalus Alrtaib, Beirut: Dar Sader.

Mousavi Bojnourdi, Kazem, 1991, the Great Islamic Encyclopedia, Part three, Second edition, Tehran: The Center for the Great Islamic Encyclopedia.

### **Articles**

Ibn Al-Azim, Saleh Sulaiman, 2006, Ibn Khaldun in Contemporary Arabic Writings: An Analytical and Classified Study, Journal of the Social Sciences: Kuwait University, Volume 34, Issue 3.

Al-Katani, Mohammad bin Ali, 1986, The culture of the eighth century between Ibn Khaldun and Ibn al-Khatib, Call Right Magazine, Issue 259.

Sayyadi Nezhad, Ruhollah, 2013, The Review of Linguistic Competence in Ibn Khaldun's View, Language Related Research, Volume 4, Issue 2.